

الظاهر والمضمر في نص " الملك الحكيم " لجبران

فاروق مواسي

النص

الملك الحكيم¹

كان في إحدى المدن النائبة ملك جبار حكيم، وكان مخوفاً لجبروته محبوباً لحكمته. وكان في وسط تلك المدينة بئر ماء نقي عذب، يشرب منها جميع سكان المدينة من الملك وأعوانه فما دونه، لأنه لم يكن في المدينة بئر سواها. وفيما الناس نيام في إحدى الليالي جاءت ساحرة إلى المدينة خلسة، وألقت في البئر سبع نقط من سائل غريب وقالت:

" كل من يشرب من هذا الماء فيما بعد يصير مجنوناً".

وفي الصباح التالي شرب كل سكان المدينة، وجنّوا على نحو ما قالت الساحرة. ولكن الملك والوزير لم يشربا من ذلك الماء.

وعندما بلغ الخبير آذان المدينة طاف سكانها من حي إلى حي ومن زقاق إلى زقاق وهم يتسارون قائلين:

" قد جنّ ملكنا ووزيره. إن ملكنا ووزيره قد أضاعا رشدهما. إننا نأبى أن يملك علينا ملك مجنون. هيا بنا نخلعه عن عرشه!"

وفي ذلك المساء سمع الملك ما جرى فأمر على الفور بأن يملأ حق ذهبي (كان قد ورثه عن أجداده) من مياه البئر. فملأوه في الحال وأحضره إليه. فأخذه الملك بيده إلى فمه. وبعد أن ارتوى من مائه دفعه إلى وزيره فأتى الوزير على ثمالة.

فعرف سكان المدينة بذلك، وفرحوا فرحاً عظيماً جداً لأن ملكهم ووزيره ثابا إلى رشدهما.

مستهل القول:

ثمة قصص فيها عنصر الغرابة أو النكتة- بالمعنى الدقيق للكلمة- يتلقاها المتلقي، فتثير لديه آراء متباينة حول فهم فحوى النص أو مُرسلته.

ولما أن كان فهم الفحوى أو المرسله هو الأساس في معالجة القصة أو الحكاية - وكم بالحري تلك التي تدور في أجواء غريبة، أو تتم الأحداث فيها بما لا يتفق والواقع- فإن دراسة نص واحد يمكن أن تلقي الظلال على طريقة معالجة نصوص أخرى على غرارها.

- جبران، جبران خليل : المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران المعربة، ص 20. ¹

وفي ذلك إثراء لتجربة الدارس ، وإفادة في تدبر النص واستيعائه .
وهذه الدراسة تحاول أن تتبين مُرسلة نص " الملك الحكيم" لجبران خليل جبران (وهو نص متداول في كتب التدريس) ، حيث يتسم بالجو الأسطوري والغرابة الموظفة على مستوى الترميز.
وسؤال البحث فيها نركزه كما يلي :
هل الملك كان حكيماً حقاً لأنه شرب من ماء البئر، بعد أن وضعت الساحرة فيها السائل؟ وهذا هو الظاهر في النص .
أم أن الكاتب كان يسخر من هذه " الحكمة " ، وأراد أن يغمز، ويدل على انهزام الملك أمام رعيته؟ وهذا هو المضمير .

وما كان هذا السؤال يستلزم بحثاً لو أن الإجابة كانت بيّنة ، فكثيراً ما نوقش هذا السؤال بين أساتذة اللغة ، كذلك فإن الدراسات المختلفة التي تناولت أدب جبران لم توضح المرمى من وراء هذا النص، بل لم تكن الإجابة شافية أو مدروسة في كل عرض لها أو إلماح لها هنا وهناك .
ويكتسب الاهتمام بسؤال البحث أهميته ثانياً، لاعتماده دراسة مادة تتعلق بالنواحي العملية في تربيتنا اللغوية والأدبية وفي مناهجنا، وهذا له ما يبرره، خاصة ونحن نجعل من "فهم المقروء" مطلباً مركزياً بعد كل قراءة.

قراءة سائدة:

كثيراً ما درس الطلاب هذه النص المعرب² لجبران خليل جبران، وفهموا أو أفهموا المقصود بالوصف -" الحكيم" هو السخرية بالملك، وأن وصفه " الحكيم" هو من باب المفارقة.
وكان اعتمادهم في أثناء النقاش على واحدة مما يلي :

2 - هذا النص مأخوذ من كتاب المجنون (جزء من المجموعة الكاملة) ، والأصل هو من كتاب :

. The Mad Man (p. 18)

أنظر النص بالإنجليزية في الملحق ، ويلاحظ هناك أن المدينة تحمل اسماً (wirani) ، وجعل المترجم للفظ (الوزير) لفظ (Lord Chamberlain) = كبير الأمناء. ثم جعل المترجم الوزير يشرب "وقد أتى على ثمالتة" (وهذه زيادة عن الأصل).

* - إن سلوك جبران ورسالته في الأدب سلوك رافض للمؤسسة - عامة - وللخطاب المستسلم خاصة - ، وهذا يحتم موقفاً معارضاً لا منقاداً لمشيئة السكان .

لقد حُكِمَ على سكان المدينة أن يُجنّوا بعد وضع سبع نقط من سائل غريب، وضعتها الساحرة في بئر الماء الوحيدة في هذه البلدة النائية .

من هنا فإن السكان كانوا في وضع لا يمكنهم فيه أن يؤيدوا أو يرفضوا ؛ بينما كانت إمكانية القرار حسب النص - بيد الملك .

ويفترض أصحاب هذا الرأي ألا ينساق الملك لمصير السكان، أو لإرادتهم التي شاءوا أن يسير الملك وفقها - فيما بعد - .

وهم يفترضون أن جبران لا يمكن أن يدعو إلى مثل هذه الحكمة الاستسلامية . خاصة وأن جبران في كتابه " المواكب " مثلاً يصف (أبا الأحلام) المثالي - في نظره - بأنه ذلك الذي لا يستسلم ولا ينقاد لما هو عليه الجمهور :

فإن رأيت أبا الأحلام منفرداً	عن قومه وهو منبوذ ومحتقر
فهو النبي ويرد الغد يحجبه	عن أمة برداء الأمس تأتزر
وهو الغريب عن الدنيا وساكنها	وهو المجاهر لام الناس أم عذروا
وهو الشديد وإن أبدى ملاينةً	وهو البعيد تدانى الناس أم هجروا ³

وهذه الأبيات تدل على ثبات المثالي على معارضة ما هو قائم ومألوف . وتبعاً لذلك، لا يمكن أن يكون المقصود بالحكيم هو المعنى الفعلي، بل جاء المعنى ليدلل على سخرية جبران من مثل هذه الحكمة . فالملك في ظاهر الحكاية ممالئ منقاد، وهذا يخالف طبيعة الرفض لدى جبران - كما تمثل ذلك في أدبه عامة .

* إن "الحكيم" هو وصف وارد على رأي الجمهور، وليس على رأي جبران، ذلك لأن الجمهور يهاب الملك، ويخافه لحكمته. وتبعاً لذلك فإن العنوان متعلق بإدراك السكان لتمثال الملك مع متطلباتهم.

أما جبران فلا يعتبره حكيمًا إطلاقاً، بل يسخر منه - في مجمل النص.

3 جبران، جبران خليل : المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية، ص 346 - 347 .

* إن النهاية يمكن أن تكون مفتوحة، فهو حكيم وجبار معاً، ولذا يمكن أن يفسر النصّ على وجهين، أسوة بكل نص ذي قيمة أدبية، حيث يفسح مجالاً للمتلقي بأن يتصور النتيجة كما يحلو له، ومن حق القارئ في هذه الحالة أن يرى في سلوك الملك نقداً من قبل الكاتب العليم بكل شيء الذي لا يرى مبرراً لسلوكه هذا، إلا النفاق وممالة المجتمع، بل إن الملك طلب من وزيره أن ينهج نهجه، حتى لا يظل للجمهور ادعاء ما ضدّهما. وبالطبع فهذا الاحتمال الثاني يفسح المجال للرأي القائل بأن الملك هو حكيم فعلاً، لأنه دارى وجارى في سبيل مصلحته وحفاظاً على عرشه. وهذا هو الرأي الذي تحاول هذه الدراسة أن تثبته.

حكمة الملك

تعتمد هذه الدراسة إلى إثبات حكمة الملك من خلال النص لا من خلفياته، وترى أن جبران كتب هذا النص - عن سابق قصد - ليشير إلى حكمة الملك - حتى من خلال لجوئه إلى "الجنون":

فالعنوان هو *الملك الحكيم*، والعنوان هو قاطع مركز، ويعبر عما في داخل النص. فهو لم يضع علامة تعجب أو علامة استفهام، كما لم يضع لفظة (الحكيم) بين قوسين أو مزدوجين، كم لم تكن هناك أية كلمة موجهة أو مأكرة من شأنها أن تعكس الدلالة.

وأية من هذي - التي ذكرنا - يمكن أن توجه إلى فهم النص بطريقة يشتمّ منها طابع السخرية أو التساؤل، أو على الأقل تدعونا لفهم الفحوى بطريقة مغايرة⁴. ثم إن الكاتب في بداية الحكاية يقول:

"كان في إحدى المدن النائية ملك جبار حكيم، وكان مخوفاً لجبروته محبوباً لحكمته"

وبالطبع فإننا نلاحظ التأكيد على الوصف (حكيم) الذي يكرره ثانية بعد العنوان، وأنه بسبب حكمته كان محبوباً. وهذا التوضيح في تقرير المعنى - كما في تقرير كون المدينة نائية - بأن الملك

4- يقول بسام قطوس: "العنوان هو أول (شيفرة رمزية) يلتقي بها القارئ، فهو أول ما يشد انتباهه، وما

يجب التركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصاً أولياً يشير أو يخبر أو يوحي بما سيأتي.....

فالعنوان ليس عنصراً زائداً، وإنما هو عتبة أولى من عتبات النص

وعنصر مهم في تشكيل الدلالة" (انظر: سيمياء العنوان، ص 53)

هو جبار وحكيم لا يدع أي لبس للتساؤل حول إمكانية المفارقة هنا. خاصة وأن الملك كان جباراً، وكان مخوفاً، وكان بإمكانه أن يثبت على رأيه أو حاله، فلا يشرب، ويظل متحدياً لفترة معينة، رغم معرفته أن الأهالي كانوا يتسارون، ويحاولون فيما بينهم أن يخلعوه عن عرشه.

ونحن لا نعلم كيف يمكن أن تؤول الأحوال فيما بعد لو أنه ثبت على رأيه وحاله، وامتنع عن شرب ماء البئر - خاصة إذا علمنا أنه مخوف وجبار من جهة، وأن الجمهور قد أخذ يتمرد عليه من جهة أخرى...

حضرت الساحرة إلى المدينة، وألقت السائل الغريب في البئر الذي يجعل كل شارب من البئر بعدها مجنوناً، وبالطبع، لم يكن الملك والوزير على بينة بما فعلته الساحرة، شأنه شأن السكان الذين جهلوا جليلة الأمر بسبب أنهم كانوا نياماً لدى حضور الساحرة، وتبعاً لذلك فالملك لم يعلم بقول الساحرة:

” كل من يشرب من هذا الماء فيما بعد يصير مجنوناً“.

لكنه كان يعلم بما أخذ الناس به يتسارون، ويعلم أن الخطر محقق به وبوزيره، لذا كان قرارهما الأول - أن يشربا من ذلك الماء.

ولعل سائلاً يسأل: كيف لنا أن نؤكد أن الملك ووزيره كانا قد قررا أصلاً أو قبلاً الامتناع عن مياه البئر، وهي الوحيدة، ومدينتهم نائية؟

وهل هما عرفا مصير السكان أو جنونهم؟ وكيف عرفا أن السبب هو ماء البئر؟

ليست لدينا إية إشارة في النص تدلنا على الإجابة.

لكننا نعلم من خلال ما ورد في النص أنه هو ووزيره كانا على علم بما يتسار به الناس " إن ملكنا ووزيره قد أضاعا رشدهما".

ولذا أخذ الملك يدبر الأمر، حتى يتخلص من خطر محيق.

وهنا نجد فجوة في النص⁵، نستنتجها - أن الملك علم بسر الماء بطريقة أو بأخرى، وإلا فما هو المبرر لاتخاذ قرار الشرب، وأمره أن يملأ له الماء.

5 - يقول هيربرت هولب: " يذهب أيزر إلى أن القارئ يشكل وحدات كلية خلال عملة مشاركته في إنتاج المعنى... إذ لا بد للنص أن يقود خطأ القارئ ما دام النص غير قادر على الاستجابة تلقائياً لملاحظات القارئ وأسئلته، والطريقة التي يمارس بها النص ضبط الحوار تمثل - من ثم - جانباً من أهم جوانب الاتصال. ويعزو أيزر بنية الفراغات (الفجوات) إلى هذه الوظيفة التنظيمية الرئيسية "

ولما أن كان قول الساحرة جرى بينها وبين نفسها- وهذه فرضية استلزمها حدوث الفعل وقت نومهم -، فإنه يبقى لدينا السؤال:

لماذا يمكن أن يمتنع الملك ووزيره عن بئر الماء الوحيدة في هذه المدينة؟

وبالطبع، فليس ثمة مبرر منطقي لعدم لجوئهما إلى ماء البئر.

ويبقى لدينا التصور الوحيد - والنص لا يتيح إلا من خلال ملء الفجوات - أن الملك علم بما قالته الساحرة، وعلم بما اضطر إليه الناس، وأنه يتابع ما يجري، وليس على غفلة من الأمر، بدليل علمه بما يتسار به السكان من رغبة في خلع هو ووزيره عن العرش .

وأياً كان التصور فإن الملك - بعد أن رأى بداية التمرد على حكمه - أمر على الفور أن يملأ له حق ذهبي (كان قد ورثه عن أجداده) من مياه البئر.

وبالطبع فإن اختيار الحق الذهبي الذي ورثه عن الأجداد هو مقصود في النص،

فهو دال على اضطراره للحفاظ على هذا الموروث، وعلى هذا الملك والثراء معاً.

شرب الملك، ولم يكتف بذلك، بل دعا وزيره لأن يشرب هو الآخر، فأتى الوزير على ثمالة.

ولفظة (ثمالة) أيضا هي مقصودة بعينها، وكأن الماء هو شراب مسكر، يتلذذ فيه الشارب، وليست هذه المتعة الحقيقية متأتية إلا بسبب إدراكه أنه يحافظ على ملكه ووجوده.

وفي ختام النص نجد أن سكان المدينة قد عرفوا بأن الملك ووزيره شربا من ماء البئر. والسؤال هنا: كيف عرف الجمهور بذلك؟

وليس لدينا من إجابة، ألهم إلا أن نستنتج أن الملك تعمد أن يصل الخبر إلى السكان، حتى تستمر هيئته ومكانته، وحتى يظل على ما بدأ النص به "مخوفاً لجبروته، محبوباً لحكمته".

نعود إلى موقف السكان، فنجد أنه يتراوح ضمن التسلسل التالي:

* السكان أولاً يخافون الملك الجبار، ولكنهم يحبونه لحكمته.

* السكان يشربون من البئر، ولا علم لهم بما جرى من أمر الساحرة، يشربون لأنه ليست هناك بئر سواها، ولم يكن هناك ما يدعو إلى الامتناع عنها؛ وهم يجنون - تبعاً لذلك.

* السكان يمكن أن يكونوا قد عرفوا أن الملك ووزيره لم يشربا عن سابق نية، فلذا كان موقفهم المعارض لهما. أو ربما لم يعرفوا، ولكنهم -وبسبب جنونهم - رأوا في العاقلين مجنونين.

(انظر : نظرية التلقي ، ص 215 - 219)

* السكان يعلمون في ختام الحكاية أن الملك ووزيره قد شربا من البئر، وهذا يقوي الاحتمال الأول في النقطة السابقة، وهم قد فرحوا فرحاً عظيماً جداً (انظر المبالغة - في النص - للتعبير عن الرضا) لأن الملك ووزيره " ثابا إلى رشدهما "

الدفاع عن الجنون:

وردت قصة " الملك الحكيم " ضمن مجموعة جبران " المجنون "، ويبدو أن جبران عمد إلى الدفاع عن الجنون، وإلى تبرئته في أكثر من نص؛ ففي مقدمة كتاب " المجنون " يقول بوضوح: " هكذا صرت مجنوناً، ولكنني وجدت بجنوني هذا الحرية والنجاة معاً: حرية الانفراد، والنجاة من أن يدرك الناس كياني، لأن الذين يدركون كياننا إنما يستعبدون بعض ما فينا "6 . يرى خليل حاوي في أثناء استعراضه لقصة "الملك الحكيم" بأن جبران " يحسب الجنون العام - والعادي بالتبعية حكمة، وتصبح الحكمة جنوناً بانقلاب في القيم "7 .

ويدافع جميل جبر في دراسته عن جبران عن هذا النهج الجنوني المبرر لدى جبران، فيقول: " الجنون هو الحس السادس، نوع من الحدس لا يخطئ، لأنه غريزي، يخلي الوعي البشري من كل شائبة ، ويعده للامتلاء بالملق والاكتمال بالله . "8 . ويضيف قائلاً: "لربما جعل المؤلف بطله مجنوناً ليصح فيه قول المثل السائر (مجنون يحكي وعقل يسمع) ، أو لأن الجنون، على زعمه، هو أول خطوة نحو التجرد الرباني ، وهو يساعد في عرفه كما في عرف المدرسة السريالية على إدراك ما وراء نقاب العقل من أسرار ، وهل القصد من الحياة إلا الاقتراب من تلك الأسرار ؟ "9 . و متابعة لفظة " الحكيم" في نصوص جبران لا تدل أنه في النص الواحد يعتمد أسلوب المفارقة. فثمة نص آخر ورد أيضاً في مجموعة " المجنون " تحت عنوان "الكلب الحكيم". يقول فيه : " مر كلب حكيم ذات يوم بجماعة من السنانير....."

6 - المجموعة الكاملة المعربة ، ص 9 .

7 - حاوي، خليل : جبران خليل جبران، ص 217 .

8 - جبر، جميل : جبران في عصره وآثاره، ص 94 .

9 - م . ن .

الكلب - في النص - يتصرف بحكمة، وبما يوافق رغباته ، ثم ما يلبث الكاتب / الراوي أن يقول :

" فلما سمع الكلب الحكيم..... (ص 15). إذن، هذا موقف من الكاتب، يدل عليه تقرير الوصف .

ويورد جبران مثلاً آخر ورد في كتابه " رمل وزبد " يقول :

" الحكيم لا يقول ما يعرف، والمجنون لا يعرف ما يقول."

ولعل هذا المثل أيضاً ينطبق على حالة الملك الذي تصرّف بما لا يوافق آراءه وأفكاره، ولكنه أراد أن يحافظ على كيانه، فما كان منه إلا أن تصرف بما هو ليس في خالص وجدانه ومعرفته.

إنه - إذن - حكيم، حسب رأي جبران، حتى لو تدخلت في هذه الحكمة تساؤلات منطقية مثالية . والحكمة لا تلتزم - في نظر جبران - بالضرورة أن ينساق الفرد للجماعة، فقد أورد جبران في المجموعة نفسها (المجنون) نصاً آخر فيه تماثل مع حكايتنا - من حيث علاقة الفرد بالمجموع - هو نص " المدينة المباركة"، وجبران يروي الحكاية بلغة ضمير المتكلم، وسأوجزها:

علم الراوي عن مدينة معينة أن كل سكانها البالغين - أولئك الذين يحسنون القراءة - هم عور وقُطع .

حضر الراوي إلى المدينة العجيبة - وهو السويّ - فكان شكله مثار دهشتهم.

ثم ما لبث أن سألهم عن سر حالهم وسبب عاهاتهم، فما كان منهم إلا أن أخذوه إلى الهيكل، حيث قرأ هناك آية من الإنجيل تطالبهم بأنهم - إذا بلغ الشر بهم مبلغاً - فعليهم أن يقلعوا عيناً وأن يقطعوا يداً مصداقاً للآية: " لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم"

ينتهي الراوي الحكاية باستقلالية قراره، حيث قرر الخروج من الهيكل خوفاً من اضطرابه إلى مجارة المجتمع في سلوكه، فيقول: " أسرع فغادرت تلك المدينة المباركة لأنني كنت بالغاً رشدي وقادراً على قراءة الكتاب " ¹⁰ .

9- المجموعة الكاملة العربية، (ص 28)

ولو أردنا مطابقة المصير هنا على قصة الملك الحكيم لكان على الراوي أن يفعل كما فعلوا، وأن يتساق مع السكان فيعور عينه ويقطع يده .

لكن لكل نص مرسلته وفحواه، وليس بالضرورة أن نُعمل ما هو خارج النص في أثناء تحليل نص معين ، أو أن نُقحمه .

ومن جهة أخرى، لو أراد جبران أن يجعل النص مفتوحاً لترك لنا فسحة للتصور، فكان يمكن - مثلاً - أن يكون العنوان غير تقريرى، نحو: الملك وماء البئر أو - هل ظل الملك حكيماً؟... أما عنوان " الملك الحكيم " فلا يعني إلا ما يدل عليه النص ، وهو حكمة الملك . ولو أراد الكاتب غير ذلك لحذف أيضاً من السطر الأول أنه كان حكيماً، وأنه " كان..... محبوباً لحكمته " .

إن سلوك الملك الذي كان مخوفاً لجبروته محبوباً لحكمته، ومعرفته ما يدور بين رعيته ساقه إلى حكمة التصرف تبعاً لمقتضى الحال، فطلب الحق الذهبي بالذات الذي ورثه عن أجداده ليشرّب منه، حتى يحافظ على كيانه وملكه . وهذه هي حكمته التي أوردتها جبران في كتاب المجنون . إنه يعتمد التأكيد - أننا بالجنون قد نصل إلى مراتب السمو والبقاء .

نصان مماثلان: أسطورة صينية، والآخر لتوفيق الحكيم:

حتى تكتمل الصورة فمن الجدير أن أعود إلى نصين مماثلين يشيان بما ذهبت إليه: أحدهما قديم، والآخر حديث:

أما النص القديم الذي وقع بين يدي فهو أسطورة صينية، تحت عنوان " الماء الذي شرب منه الجميع "، وقد نشر هذا النص محمد سالم من دمشق - في مجلة الرسالة¹¹ ناقلاً إياه عن كتاب كيزلي معبد (ص 127) للكاتب التركي عمر سيف الدين .

والقصة / الأسطورة تتلخص فيما يلي:

" كان لينغ يو ملكاً عادلاً حكيماً، توفر في أيامه الهدوء للرعية، فجاءه في أحد الأيام ساحر وأعلمه أن أمطاراً غزيرة ستهطل مدى أيام، وكل من يشرب ماء خالطته قطرة من هذه الأمطار

11 - مجلة الرسالة السنة الثالثة، العدد 86 فبراير 1935، ويقول العرب إن الكاتب كان قد نشر الأسطورة عام 1910 - (نشر جبران كتابه سنة 1918 .)

يصبح مجنونًا لا محالة، فأمر الملك بملء صهاريج القصر وكل ما فيه من أوانٍ ماءً نقيًا عذبًا، لينجو من شرب الماء المسبب للجنون... وبعد أيام بدأت الأمطار بالتهطل، ودام انهماؤها أيامًا وأسابيع.... فخالط ماؤها ماء الينابيع والآبار، فجن السكان كلهم وانتشروا في الأزقة والساحات يصيحون ويصرخون، وتجمع قسم منهم حول قصر الملك، وأخذوا يسخرون منه ومن صحبه الذين ظلوا عقلاء حتى تلك الساعة بفضل الماء المخزون في صهاريج القصر، فكان إذا بدا واحد من سكان القصر في إحدى الشرفات صاحوا بصوت واحد قائلين: (مجنون! انظروا المجنون!)، وأصبحت الحالة لا تطاق، فلم ير الملك بدءًا من أن يشرب هو أيضًا من ماء الجنون، فتناول منه قدحًا وهو يقول - لا لزوم لبضعة عقول صحيحة مع هؤلاء المجانين "

فهذه الأسطورة الصينية (وربما هي واردة كذلك في لغات أخرى) تشير تمامًا إلى اختيار الملك مصيره المشارك لمصير رعيته، وهو يرى ذلك حكمة، فلا لزوم لعقل صحيح "مع هؤلاء المجانين".

ويبدو أن الآداب العالمية تأخذ عن بعضها البعض، ولا بدع أن نرى شدة التشابه بين الأسطورة الصينية وبين حكاية جيران، وقد يكون هذا مدار بحث لموضوع في هذا المجال .

وينطبق ذلك على نص توفيق الحكيم أو مسرحيته " نهر الجنون " ¹² ، وهي مسرحية يدخل الصراع فيها أو الدراما حتى يكون مبرر لمسرحتها ، فالملك لا يقبل أن يشرب إلا بعد تردد، وسأقتبس السطور الأخيرة التي تدل على هذا التردد ، حيث تؤدي نهاية المسرحية إلى نفس النتيجة - شرب الملك ومشاركته بما قام به الناس، غير أننا نلاحظ هنا أن الوزير كان قد سبقه إلى الشرب ، وكان عاملاً مساعداً في إقناع الملك بأن يشرب :

الملك : وأما العقل فماذا يعطيني ؟

الوزير : لا شيء .. إنه يجعلك منبوذًا من الجميع ...مجنونًا في نظر الجميع !؟

الملك : إذن فمن الجنون ألا أختار الجنون ؟

..... بل إنه لمن العقل أن أوثر الجنون .

الوزير : هذا لا ريب عندي فيه !

- الحكيم، توفيق : المؤلفات الكاملة (المجلد الثالث)، ص 244 - 248 .¹²

الملك : ما الفرق إذن بين العقل والجنون ؟
الوزير (وقد بوغت) انتظر ! (يفكر لحظة) لست أتبين فرقاً !
الملك (في عجلة) : علي بكأس من ماء النهر !

ومرة أخرى يثار السؤال : إلى أي مدى تأثر الحكيم بنص جبران أو بنص الأسطورة ؟
ومن نافلة القول أن أؤكد أن هذا الموضوع ليس صلب دراستي ، وما ذكرت ذلك إلا لأدلل على
طريقة فهم النص أو فهم المقروء ، وذلك من الحكاية نفسها وبأثواب مختلفة .

9 ومع ذلك ، يجدر بكل من لا يؤيد هذا السلوك الملكي - على المستوى التربوي والأخلاقي
- أن يطرح أسئلة مفتوحة للقارئ بعدها ، كأن يسأله عن صحة هذا الموقف أو خطئه ، أو أن
يسأله : هل يتساوق هذا النص ونصاً آخر من كتابات جبران ؟
أو لو كنت مكان الملك كيف كنت تتصرف ؟

أو أن يعمد القارئ إلى أمثال فصيحة أو شعبية مما يدعو إلى المسيرة وممالة الواقع¹³ وإلى أمثال
أخرى تدعو إلى تحدي السائد ومناهضة الخطأ... وهما وجهان قائمان في المجتمع - بلا خلاف ،
وكلاهما مثار حوار.

وأياً كانت هذه الفعاليات فهي تدور حول النص وتناقشه ، وتحاول أن تجعل منه مدعاة
لإثارة الأفكار ، ولإثراء القارئ - حتى لو عز عليه أن يكون الملك حكيماً حقاً ، أو أن يكتب
جبران نصاً يوجب التكيف والمجتمع في هذا النص - على غير ما عهدنا فيه - عامة .

¹³ - على غرار المثل : في بلاد العوران إعور عينك ! أو : حط راسك بين الروس

المصادر

- جبر، جميل : **جبران في عصره وآثاره** ، مؤسسة نوفل، بيروت – 1983 .
- جبران، جبران خليل : **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران المعربة**، تعريب الأرشمنديريت أنطونيوس بشير، (لم تذكر أية تفاصيل) .
- : **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران – العربية** ، تقديم وإشراف ميخائيل نعيمة، (لم تذكر أية تفاصيل) .
- حاوي، خليل : **جبران خليل جبران**، (نقله إلى العربية سعيد الباز)، دار العلم للملايين، بيروت – 1982 .
- الحكيم، توفيق : **المؤلفات الكاملة**، (المجلد الثالث) ، مكتبة لبنان، بيروت – 1994 .
(ص 244-248)
- قطوس، بسام : **سيمياء العنوان** ، مطبعة البهجة، عمان – 2001 .
- هولب، روبرت : **نظرية التلقي** ، (ترجمة عز الدين إسماعيل)، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة – 1994 .
- مجلة الرسالة (القاهرة)، فبراير 1935 .
- Jibran , Khalil : **The Mad Man** , Knopf company – New York – 1918 .

ملحق

الأصل بالإنجليزية

The Wise King

Once there ruled in the distant city of Wirani a king who was both mighty and wise. And he was feared for his might and loved for his wisdom.

Now, in the heart of that city was a well, whose water was cool and crystalline, from which all the inhabitants drank, even the king and his courtiers; for there was no other well.

One night when all were asleep, a witch entered the city, and poured seven drops of strange liquid into the well, and said, "From this hour he who drinks this water shall become mad."

Next morning all the inhabitants, save the king and his lord chamberlain, drank from the well and became mad, even as the witch had foretold.

And during that day the people in the narrow streets and in the market places did naught but whisper to one another, "The king is mad. Our king and his lord chamberlain have lost their reason. Surely we cannot be ruled by a mad king. We must dethrone him."

That evening the king ordered a golden goblet to be filled from the well. And when it was brought to him he drank deeply, and gave it to his lord chamberlain to drink.

And there was great rejoicing in that distant city of Wirani, because its king and its lord chamberlain had regained their reason.

+המלך החכם

בספרות היפה ישנם ספורים שהינם רוויים בתופעה של "זרות" ובהן אנקדטות המעוררות חילוקי דעות בין הקוראים. הבנת המסר הינה היסוד להתמודד עם הספור או הנרטיב ועל אחת כמה וכמה בספורים שהעלילה בהם מתרחשת באופן פנטזי או סמבולי. במחקר זה מנסה ד"ר פארוק מואסי לחקור את המסר של "המלך החכם" – מפרי עטו של ג'בראן ח'ליל ג'בראן (1883-1931).*

השאלה העיקרית שנידונה :-

האם אכן היה המלך חכם, כשנענה לדרישת בני עמו אשר הפכו להיות משוגעים (לאחר שתיית מי הבאר שהמכשפת הטילה בו את הטפות המיוחדות) או שמא הסופר היה לועג ל "חוכמה" זו, ומורה על תבוסתו של המלך בפני העם?

השאלה הנודנה היא אקטואלית לאור חילוקי הדעות בין המורים בהוראת השעור, והבנת הנקרא והמוסר שבו. החוקר מוכיח כי הספור מראה כי המלך – למעשה - היה חכם, וזאת מתוך ראיות אחדות כאשר הלך בעקבות בני עמו ועשה כמיטב רצונם.

* טכסט זה נלמד במסגרת ת"ל של בתי הספר הערביים בח"ב.